وضوح المنهج و أثره

في

الدعوة إلى اللّه

لفضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري – حفظه الله تعالىٰ–

المكان : مسجد قباء بالمدينة النبوية .

الزمان : يوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من شهر جمادىٰ الأول لعام اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وآله وسلم .

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

كما سمعتم العنوان لهذه المحاضرة، أو هذا اللقاء، أو هذه المذاكرة بعنوان: وضوح المنهج وأثره في انتشار الدعوة إلىٰ الله.

النبيﷺ بعثه الله رحمة للعالمين، وهكذا الأنبياء والرسل أجمعين، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:36]، هذه هي دعوة الأنبياء: وضوح في المقصد، وضوح في الهدف، وضوح في الوسيلة والطرح.

هذا الوضوح يجعل المتلقي مدرك لمراد الداعي ماذا يريد؟ ولذلك جمعهمﷺ في مكة ونادىٰ في بطون قريش، فدعاهم ماذا يريد؟

قال لهم: «كلمة». قالوا له: لك عشر. فقال: «يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

وضوح في أول مرتقًىٰ ارتقاه النبيﷺ، وقد جمع قومه بعد أن قال له الحق- تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:94]، فكان كذلك البيان، العقيدة، التوحيد.

فماذا كان منهم في مقابل ذلك الوضوح ؟ كان التمرد والعناد، قالوا: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

فقال الله في ذلك القائل: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)

سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[المسد:1-3] .

هكذا كانت دعوة النبي ﷺ واضحة ، ولذلك عجبوا من هذا الوضوح : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:4-5] .

انظروا ! يستعجبون من ماذا ؟! من دعوة الحق .

فماذا كان منهم في مقابل ذلك الوضوح ؟ كان التنفير والتحذير وتواصو على ذلك: ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾[ص:6] ، توصوا في محاربة دعوة الحق ؛ لأنها واضحة المعالم ، فكان منهم هذا العناد .

بل انظروا في مقابل ذلك الوضوح بماذا كانوا يعترضون ؟ يعترضون بالدعاوى الباطلة وبالمخالفات الصريحة ؛ بل احتجوا بملل الكفر ؛ فإن ملل الكفر لا ترضى بالوضوح كما هو شأن اليهود الذين أثنوا على قريش ويعلمون أنهم على الباطل ، فماذا قالت قريش ؟ قالوا : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾[ص:7] ؛ يعني: أن آخر ملة ترى التثليث وهم النصارى ، وأنت تدعو إلى التوحيد ؛ أن الله واحد . فاحتجوا بما قد حرَّفته النصارى ، انظروا إلى ما يتشبث به المبطلون؟! يتشبثون بالباطل ليصدُّوا ، الحق والحق واضح ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:81] .

دعوة الحق واضحة من أول طرحها ؛ فهذا النبي ﷺ يأتيه الرَّجل من مجلس واحد ينصرف وقد انصرف بوجهٍ غير الذي أتى به ، لماذا من مجلس واحد تتضح له الدعوة؟

فكن أيها السني ، أيها السلفي ، أيها المقتدي بأثر النبي ﷺ كذلك ؛ لأن الوضوح يختصر الطريق فتصبح تلك الدعوة واضحة لذلك المدعو فيتغير مَن يأتي مجلس المصطفى ﷺ من أول مجلس يجلسه مع النبي ﷺ ، وهكذا هم أتباع الرسل دعوتهم واضحة جلية .

فالوضوح من العلانية وهو من تمام الضحى والنور والضياء ، بخلاف الغلس ، وبخلاف التعمية ، وبخلاف التلون ، وبخلاف الكدر ، فكلها تخالف الوضوح ؛ فالواضح واضح ، من حيث

ما أتيت هذا فإذا به هو هو .

فالنبي ﷺ دعوته واضحة مع الجميع ، هنا لـمَّا أن قَدِم إلى المدينة – هذه المدينة النبوية – من هذا المكان ، من مسجد قباء انطلقت الدعوة بوضوحها وصفائها ، فجعلت المنافقين يستترون ولا يقابلونها إلا بأن يعلنوا الإسلام ، وقد أخفوا ما أخفوا ، وهكذا عادة المبطلين لا يُظهرون ، وأما أصحاب الوضوح فهم أصحاب العلانية ، فإياك وأصحاب الخفا !

فتميزت دعوة النبي ﷺ بوضوحها وعلانيتها ، فعندما تجد مَن ليس كذلك فهذا عنوانٌ على أنه على خلاف منهاج النبوة ، فالنبي ﷺ دعوته واضحة جلية في العقيدة وبيان الهدف : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص:86-88] ، دعوة واضحة جلية ، جميع الأنبياء و الرسل : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : 50] ، هذه دعوتهم .

ولذلك أتوا أصحاب المصالح يريدون أن يساوموا النبي ﷺ على ما يُقال بلغة العصر : بعض الأهداف المشتركة ؛ وهي قاعدة التعاون والإعذار ، يعذر بعضنا ونتفق على أشياء ونتنازل من أشياء ، فماذا عرضوا على النبي ﷺ ؟ عرضوا على النبي ﷺ الملك ، فقالوا : لا نقطع أمرًا دونك ، ثم عرضوا عرضًا آخر وهو المال ، قالوا : نجعلك من أغنانا ، نجمع لك الأموال ، ثم عرضوا عرضًا أخير : نزوجك أجمل النساء .

ولذلك سقط من سقط وهلك من هلك في إحدى هذه الثلاث : إما أنهم استزلتهم الأمور السياسية ومسائل الحكم وشؤون ذلك ، فسقطوا فلم يستطيعوا أن يستمروا على ما هم عليه فنحوا منحًا آخر ، فالوضوح لا يمكن أن يجتمع مع لغة اللف والدوران ، فسقطوا في هذا . وأصحاب المغريات المالية تنافسوا فيها وتساقطوا فيها ، فأصبحوا من أهل الحيل وأهل الأموال التي لا يخفاكم شأن الكثير ممن سقطوا في هذا . وأما فيما يتعلق في النساء فهي أشد على الرجل الحاذق مهما كان في حذقه فهو سهل السقوط في هذا المرتع .

انظروا معشر الأخوة الكرام:

هذه الثلاث هي قوصم الظهر، فيا طالب العلم كن على حذر من هذه الثلاث، وأخص طالب العلم لأن الموضوع في وضوح الدعوة، في وضوح المنهج و أثره في الدعوة إلى الله، فعندما يُعرف بأحد هذه الثلاث فإنها لها أثر على دعوته في الناس، وهذا مما قد يعيق الكثير.

الوضوح في الاستدلال، فالنبي ﷺ قال: «تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك». «مثل البيضاء» هكذا الوضوح كبياض النهار، مهما اشتدت الفتن وأظلمت فإن وضوح منهاج النبوة لا يختلف فيه اثنان، لماذا؟ لأنه طريق بيِّن قائم على الدليل الصحيح، «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وسنتي». نعم، الكتاب والسنة: وضوح في الاستدلال، وفي المرجع، وفي التحاكم، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:65]، هكذا الوضوح.

والوضوح ابتلاء؛ ولذلك هو أمر شاق وصعب، فيتخلَّف منه أناس كثير، فيا أيها السني اثبُت فهكذا كان النبي ﷺ و لو في أبسط الأمور في ظن بعض الناس.

أتى رجل للنبي ﷺ ليبايع وهو ممن قد أهدر دمه، فإذا به ينظر إلى الرجل وينظر إلى الصحابة يمنة ويسرة، فلما كرَّر ذلك الرجل ثلاثًا مدَّ له النبي ﷺ فبايعه، ثم التفت إلى الصحابة فقال: «لِمَ لَم تقتلوا الرجل». فسكتوا، الرجل أقدم للنبي ﷺ بيده ليبايع وهم يعلمون أنه ممن قد أُهدر دمه، فقالوا: يا رسول الله هلا أشرت لنا. يعني بعينك. فقال النبي ﷺ: «ما كان للنبي أن تكون له خائنة أعين».

تعرفون معنى هذا؟ هم يقولون: أن يا رسول الله لو أشرت لنا بعينك - ما أدري ما يسميها البعض إحنا يسمونها عندنا غمزة — يعني: غمز بعينه، أو أشار بطرفه، فأغمض واحدة وترك الأخرى فاتحة؛ يعني: أعطاهم إشارة أن اصنعوا بالرجل شيء، وهي إشارة خفية، واضح.

هذه الإشارة الخفية ليست من منهاج النبوة، فماذا قال النبي ﷺ: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين». انظروا إلى أي درجة الصفاء والنقاء، والوضوح وليس التلون.
وإياك وأصحاب التلون! وأصحاب الرياح! فحيثما كانت الرياح كان كذلك؛ فإن كانت رياح أهل السنة قائمة فهو تجد طرحه طرحًا سني ويعجبك في مقاله، وتستنكر أحيانًا بعض الأشياء لأنها تأتي الرياح من جهة فيها بعض الجيف وهكذا، فتشعر أن في هذا الكلام نَفَس بخلاف الأول؛ لأنهم أصحاب وجوه وأصحاب تلون، فإياكم والخلوف! فالخلوف كُثُر لا يريدون منهاج النبوة والسلف الصالح، يريدون منهاج الخلف ولا يريدوا أن يتبعوا السلف.

ومما يتميز به الوضوح في الدعوة إلى الله: أنها طريق مختصر لإيصال هذه الرسالة الدعوية؛ فعندما يتبين لهذا المجالس، أو لهذا السامع، أو لهذا القارئ، فيصل إلى المراد بسهولة وبطريق مختصر.

أيضا هذا الوضوح تجده شامل وكامل في جميع مناحي الحياة:
وضوح في العقيدة، وفي الطرح، إن أتى في الأسماء والصفات فإذا يثبت ما أثبته الله لنفسه، وينفي ما نفاه الله عن نفسه، ويثبت ما أثبته النبي ﷺ، دون تشبيه أو تمثيل أو تأويل، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:11].
وإن أتى في مسألة العبادة فإذا به واضح جلي، لا يرى الاستغاثة إلا بالله، ولا يُدعى إلا الله، ولا يستشفى إلا به، ولا يحلف إلا به، ولا ينذر إلا كذلك، هكذا واضح في هذا الأمر، لا تجده من أصحاب الشرك والتلون.
إن أتى إلى مسائل الاتباع فإذا به حريص أشد الحرص على اتباع النبي ﷺ؛ لأنه سائر في الأمر الشرعي، فالله تبارك وتعالى- يقول: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[هود:112].
فالأمر حيث ما أتى واجب على المسلم الاستجابة بالوسع والطاقة، «فما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا».

هكذا الوضوح في اتباعه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف:108]، فهو واضح في دعوته، واضح في مقصده.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ فهو يدعو إلى الله، أي: إلى توحيد الله، لا إله غير الله.
لا إلى تنظيمات، ولا إلى أحزاب، ولا إلى طوائف، ولا إلى فرق؛ إنما يدعو إلى الله ﷻ.
﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ أي: على علم؛ فمن ليس على بصيرة فهو على ضلال وجهل وحيرة، ماذا يدعو إليه؟ فرقٌ بين من تكلَّم قبل أن يتعلم، ومن تكلم بعد أن تعلم، فهذا سيتكلم بما قد تعلم بالبيان والدليل الواضح الجلي، فمن ليس عنده علم فهو ما بين قصص، وما بين منامات، وما بين خرافات وخزعبلات، ماذا يقول للناس؟!
﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾، إذًا هذا هو الوضوح، فعندما ترى هذا الداعي يدعو ثم إذا به يخلط أشياء كثيرة؛ هذه ليست دعوة سنية.
عندما يقول شخص: أنا دعوتي سلفية صوفية رياضية سياسية! فإذا به يجمع التناقض.
وآخر يقول: أنا عقيدتي سلفية وأبايع على الطريقة الجشتية والسهراوردية والقادرية والنقشبندية! ما هذا؟!
ثم من يقول: أنا عقيدتي سلفية ومواجهتي ليست سلفية إنما هي عصرية.

لماذا يهربون من أن تكون دعوتهم دعوة نبوية سنية في سلوكها ومواجهتها وطرحها وبيانها؟ لأنهم لا يجدون في ذلك بغيتهم، لهم مقاصد تختلف عن هذه الطريقة، فهؤلاء طرحهم ليس واضح؛ ففرق بين من يقول أدعو إلى الله ومن يبدأ بغير ذلك.

هكذا كان الوضوح، منهاج النبي ﷺ واضح حتى في طرحه مع الناس وتعامله، تأتي الجارية فيقول لها: «أين الله؟». فتقول: في السماء. فيقول: «من أنا؟». فتقول: رسول الله ﷺ. فيقول لسيدها: «اعتقها فإنها مؤمنة». هكذا الوضوح، وهكذا كان الصحابة ﷺ.

ومواقف الوضوح في دعوة النبي ﷺ كثيرة، مِن ذلك ما قاله للخارجي الذي قال له: يا محمد اعدل! هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. قال: «ويلك إن لم أعدل فمن يعدل، يخرج من ضئضئ هذا...» الإشارة إلىٰ مَن؟ غائب ولَّا حاضر؟ وضوح، أليس هذا حكم علىٰ شخص بعينه؟ «يخرج من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم إلىٰ صلاتهم...» انظروا معشر الأخوة الكرام التحذير واضح والبيان، لا مجال لتفسيراتٍ أخرىٰ فيه، فهو سهل الوصول للمراد، بخلاف بعض المتلونة الذي تجد الكلام فيه يحتمل خمسة ستة سبعة معاني والكل يأخذ بالمعنىٰ الذي يريد، كأنما لا يريد أن يقبض عليه شيء أو ألا يكون له موقف واضح.

قال: «يخرج من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم إلىٰ صلاتهم وصيامكم إلىٰ صيامهم» ثم بدأ يذكر عبادات.

أيها الأخوة: إذا أردنا أن نضرب المثل بالصلاة الصحيحة والعبادة الخاشعة وأنواع من العبادات بعد النبي ﷺ نمثل بمن؟ بالصحابة ﷺ، وهنا يقول: «تحقرون» هذه العبادات عند هؤلاء، مَن هم؟ الخوارج. هذه العبادات بالممارسة الصحابة يحقرون أنفسهم أمام هؤلاء لشدة ما يكون في هؤلاء في الظاهر من التخشع والخشوع، ومع ذلك يقول النبي ﷺ بكل وضوح: «كلاب النار»، «لو أدركتهم لقتلتهم قتل عاد»، وقتل عاد انتقاء ولَّا إبادة؟ نسأل الله أن يوفق ولاة الأمر لأن يبيدوا هؤلاء الخوارج.

إذًا أيها الإخوة: انظروا إلىٰ هذا الجانب الواضح الجلي، بعد ذلك هل اغتر الصحابة بأفعال الخوارج، أو بعبادات الخوارج، أو بزهد الخوارج؟

إذًا العبرة ليست بالنحيب والبكاء واللطم، وهذه التخشعات وهذه الأشياء التي تظهر في أنواع التعبدات؛ إنما العبرة بماذا؟ بصحة الاعتقاد واتباع المنهج النبوي، العبرة بهذا فقط، بصحة الاتباع للنبي ﷺ في كل شيء، وليس في شيء دون شيء، فرقٌ بين أن تخص ذلك بلحظة أو بزمن أو بيوم أو بليلة من أن تجعل اتباعك للنبي ﷺ في مأكلك، في مشربك، في ملبسك، في سفرك، في إقامتك، في ذهابك، وفي إيابك، وفي ليلك، وفي نهارك، وفي شرائك، وفي بيعك،

وفي طريقة تعاملك، وطريقة لباسك، في حذائك، في وضوئك، في صلاتك، في زكاتك، في حجك، في سلوك جميع ما تفعل من صباحك إلى ليلك، كل حباتك أجمع، هذا هو حقيقة الاتباع، هذا اتباع النبي ﷺ وليس لحظة أو يوم أو ليلة؛ إنما هذا هو صدق الاتباع للنبي ﷺ، وهي المحبة الحقيقية: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران:31].

وهذا الوضوح هو الذي علمه النبي ﷺ لصحابته، وأستعرض شيئا من ذلك على عجل لأن هناك إضافة لموجهنا وموجه دعاة المدينة - بل هو موجه طلبة العلم في كثيرٍ... بل الكثير يستفيد منه وليس على مستوى المدينة والمملكة بل في العالم - وهو شيخنا الشيخ صالح السحيمي- وفقه الله- .

تعلَّم الصحابة رضي الله عنهم هذا الوضوح، انظروا موقف أبي بكر رضي الله عنه مع المرتدين، حصل ما حصل فإذا بعمر رضي الله عنه يكون له موقف، ماذا كان موقف أبي بكر رضي الله عنه ؟ موقف واضح: (والله لو كان عقال لقاتلتهم عليه). هذا الوضوح تأتي بعده المواقف والنتائج الحميدة.

عمر رضي الله عنه مواقفه كثيرة، ولكن مما يتداول موقفه مع مَن؟ مع صبيغ، فماذا صنع به؟ ولما خرج الخوارج بعد ذلك أتوا إلى صبيغ فقالوا: الأمر قد زال. قال: أدبني العبد الصالح.

موقف عثمان رضي الله عنه واضح مع الخوارج لما خرجوا وأتوا، موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذلك.

موقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واضح جلي عندما أتى أصحاب الحلق، وهو مواقفه كثيرة، وله آثار جميلة جدا، ولو يلتفت لهذا بعض طلاب العلم ويجمعون بعض الآثار التي أتت عن ابن مسعود رضي الله عنه في مواقفه الأثرية السنية في مواجهة أهل البدع، ووضوحه في طرحه؛ فهي منهجية نبوية مباركة واضحة جلية، في نفس الوقت يكون رده على صاحب البدعة.

ومن ذلك ما حصل مع أصحاب الحلق، فلما أتاها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وهو في الكوفة

قال: (أما إني قد رأيت أمرًا أنكرته، وما رأيت إلا خيرا). قال: (وما ذاك؟). قال: (قوم في المسجد كذا حلق يذكرون). قال: (ألم تقل لهم أن يحصوا سيئاتهم فإني لحسناتهم ضامن).

انظروا هذا الطرح مع مَن؟ مع خاصته، هو نفس الطرح طرحه مع مَن؟ مع القوم، ليس له كلام معه و كلام معهم، لما أتاهم قال: (ألم تحصوا سيئاتكم فإني لحسناتكم ضامن)، نفس العبارة، عباراتهم هي نفس العبارات، أحكامهم هي نفس الأحكام، وهذا يجعلني أتأمل فيما أتت به هيئة كبار العلماء في مسألة المظاهرات وهو حكم عام لجميع بلاد الدنيا، ثم يأتي أصحاب التلون ويقولون: لا، في بلاد لا تجوز وفي بلاد تجوز!

تلون في الأحكام، هذا الفرق بين الوضوح وعدمه، ولذلك قال ابن مسعود ﷺ لهؤلاء: (والله لأنتم على ملة ...)، هذا بعد أن سألهم لأنه استشكل ما هم فيه من حيث الاجتماع؛ فالأصل في الاجتماع في قول أبي موسى ﷺ لابن مسعود ﷺ قال: (إني رأيت أمرًا أنكرته، وما رأيت إلا خيرا).

ما هو الأمر الذي أنكره، وما هو الخير؟ قال: (إني رأيت أمرًا أنكرته، وما رأيت إلا خيرا) خير من حيث أصل إيش؟ الاجتماع. والإنكار من حيث صفة الاجتماع، فربما يكون عند صاحب الباطل أصل لكن على غير الصفة المشروعة، فيأتي شخص ويقول: أدعوا إلى الله ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله، ويقول أنا أدعو إلى الله.

نعم، أنت تدعو ولكنك هذه دعوتك دعوة بدعية، ما هي بدعوة سنية، دعوتك ما هي بسنية؛ دعوتك إما ياساوية، أو بناوية، أو سرورية، أو ما وقعوا فيه الآن مما أفسدوا به الشباب حتى أضلوا كثير وحرفوهم عن منهاج النبوة، بماذا ؟ بدعوى أن هذا ما يوافق لغة العصر، فوقعوا تحت ضغط الواقع بما يسمونه بفقه الواقع.

دعوته ﷺ واضحة وكذلك الصحابة ﷺ استفادوا، فيقول ابن مسعود ﷺ لأصحاب الحلق: (ماذا تصنعون؟) قالوا: (نذكر الله). فلما قالوا بهذا هو يعرف الذِّكر ويعرف الأصل في الاجتماع لكن على خلاف هذا الوصف، وهم يقولون: كبِّروا مئة. وعندهم حصى، فقال ابن

مسعود رضي الله عنه: (والله لأنتم على ملة أهدى من ملة رسول الله ﷺ أو لأنتم مفتتحوا باب ضلالة).
ليس هناك حلٌّ ثالث، الوضوح واضح، هذا هو الوضوح، ليس هناك ألوان رمادية، الوضوح واضح: سنة أو بدعة، توحيد أو شرك، طاعة أو معصية، استقامة أو انحراف.

وليس في وِجهة يقول: أريدها على منهاج النبوة. وبوِجهة أخرى يقول: لا، نريد أن نجعل بعض الضلالات أنها حسنة!

لا يمكن أن تكون الضلالة حسنة؛ لقول النبي ﷺ: « كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ». فلذلك سمَّى هذه بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا يأتي شخص ويقول: لا، هذه بدعة ليست ضلالة!

النبي ﷺ يقول: « كل بدعة ضلالة » فيأتي شخص ويقول: لا، هذه بدعة ليست ضلالة!
كلُّ البدع ضلالات، و كل ضلالة من حيث الحكم في النار، فانتبه يا عبد الله!

فقال لهم: (وهذه آنية رسول الله لم تكسر، وهذه ثيابه لم تبل) – دليل قرب عهد النبوة– (وهؤلاء صحابته متوافرون).

إذًا الكتاب والسنة على هدي مَن؟ على هدي الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، من تبعهم بإحسان من المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين، ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هؤلاء مزكى طريقهم، ولذلك لما ذكر النبي ﷺ حال أهل الضلال وأهل الانحراف ماذا قال فيهم؟ قال المقولة العظيمة التي تبين لكل منحرف عن السنة النبوية أنه ضال عنها، فماذا قال؟ قال: « تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار » – فما سأل الصحابة رضي الله عنهم عن المنحرفين الضالين الذين قد خرجوا عن الجادة – بل قالوا: من هي يا رسول الله؟ أرادوا معرفة الحق واتباعه، قال: « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ». هنا التميز، هنا الوضوح، « ما كان على مثل أنا ما عليه اليوم » أي يوم: ذلك اليوم، إسلام ذلك اليوم؛ أما "إسلام اليوم" فيه فِرق وبدع وضلالات، فإسلام ذلك اليوم الوضوح والدعوة الواضحة لِما كان عليه

محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

فانظر لنفسك ، انظر لعقيدتك ، انظر لعبادتك ، انظر لأخلاقك ، انظر لمعاملتك ، انظر لسلوكك ، هكذا الوضوح .

الوضوح مطلب مع نفسك ، مع ربك ، مع أهلك ، مع زوجك ، مع الناس في تعاملاتك ، الواضح واضح ، ولذلك لم يتعبوا أهل الوضوح ؛ لأن المخالف يعرفهم ، وأما غيرهم أصبحوا مطية لربما رُكِبوا لقضاء بعض المآرب لأنهم ليسوا واضحين ، وأما الواضح حتى لو أتى المخالف لوجدته في ذلك المجلس طرحه طرح واضح لا يهاب إلا أن يُنتقد في ذلك المجلس ، لماذا؟ لأن الحق له هيبة ؛ كما قال النبي ﷺ : « والذلة والصغار على من خالف أمري » ، مفهوم المخالفة لذلك : والعز والتمكين لمن وافق أمري .

فتجده كذلك في طرحه وعندما ينصرف تجد منه ما تجد ، إياك والجليس فبعضهم غير أنيس ، لربما يقضي مآرب ويفعل ما يفعل ؛ ولذلك تأتي الفتن وتأتي الأحداث فيزل فيه الأحداث ، ويثبت فيها الأثبات فيدعون الناس إلى ما عليه الشرع لا إلى لغة الشوارع ، يدعون الناس إلى شرع الله ، وأما الشوارع فقد حصل فيها ما سمعتم الآن في العالم الإسلامي .

وعجيب تلك الشعارات التي تردد ! لم تسمع غضبة لله ولا لأمر الله ، ولا لتوحيد الله ولا لإقامته ، إنما بكاء على ما يسمونه بالليبرالية والعلمانية والديمقراطية وزعموا الحرية! ولذلك هذه دعوات لا وضوح فيها .

إن شأن الوضوح مهم جدًا فهو يسهل انتشار الدعوة ، ثم الوضوح لا يجعل المخالف يختلط بهذا الطرح لأنه يعلم أنه ليس نَفَسه ؛ فلو أتيت إلى ذلك الرافضي فقل : هل أنت سني؟ لقال : لا . ولو أتيت إلى البدعي فقل هل : أنت سلفي؟ لقال : لا .

لا يستطيع أن ينتمي للحق ، وإذا قلنا السلفية نعني : الإسلام ، نعني ما عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومن اتبعهم بإحسان من أئمة الإسلام إلى يوم الناس هذا ، هذا الذي نقصده ، هو الإسلام بشموله ووضوحه

في كل شيء، دعوتهم واضحة بيضاء نقية كما قال النبي ﷺ: «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

فالثبات الثبات على منهاج النبوة فهو عنوان السلامة، الثبات الثبات والاستقامة وإياك والتلون في الدين، وهذه هي وصية النبي ﷺ.

ولذلك ماذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه ؟ من جميل عباراته أنه قال: (إن المنكر كل المنكر أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف).

فإذا وجدت في نفسك شيئًا من هذا فاعلم أنه قد أصابتك الفتنة؛ إذا وجدت أنك أصبحت تعرف أشياء كنت تنكرها ولا ترضاها، ليس لأنها مسائل قد اتضحت لك الأدلة فيها، (لا) إنما لهوىً في نفسك مِلت معه في إحدى المغريات الثلاث التي عرضت على النبي من قريش: إما في جانب الحكم والسياسات، أو في جانب الأموال، أو في جانب النساء.

انتبه! فلربما قصمت ظهر داعية فتغير من ذلك الوضوح إلى الغموض، فوجدته يلتفت يمنة ويسرة لأصحاب هذه الأشياء، فما تجده في محافل أهل السنة ولا في ملتقياتها؛ إنما تجده مع كل صاحب هوى لأنه ترك الهدى، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[محمد:14].

ولذلك الزم الحق، فما أكثر من يستشهد بالقرآن وهم يتركون السنة، يستشهدون بذلك ليستدلوا على ما هم عليه من باطل، والسنة مبينة للقرآن وموضحة لما فيه، ومبينة لأحكامه، فالحق واضح، بل ما من صاحب باطل يتلاعب بالأدلة ويحتج بها إلا وكانت حجة عليه، ومن جميل عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنه كان يقول كلمة عظيمة، يقول: "ما احتج صاحب بدعة من الكتاب والسنة إلا وجعلت حجة عليه لا حجة له".

ولو تأملت في هذا القول لوجدت غاية الصواب في هذه العبارة، لماذا؟ لأن الحق لا يحتج به في الباطل، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:81]، لا يمكن أن يحتج بصاحب استدلال على باطل، فإذا أتى النور تجلت الظلم، تجلت الظلم وهكذا وضوح

الحق، بل لو اشتدت الفتن إن الشمعة لتُرى من بُعد لِما فيها من ضوء ونور، ووضوح وضياء، فهي واضحة مهما اشتد الظلام.

اثبُت أيها السني، اثبت على الحق، فهذا الوضوح ابتلاء، وإياك والتلون! إياك وكثرة الوجوه! إياك والتلون! فوضوحك يختصر الطريق على المتلقي فيستفيد؛ لأنه وجد لغة واضحة، لغة صادقة، وعامة أصحاب البدع أهل تلون، ليسوا أهل وضوح، يخفون طرحهم، يخفون كتبهم، يخفون عقائدهم، يخفون أمورهم، لا يستطيعون أن يظهروها.

صاحب الحق واضح في عقيدته، واضح في عبادته، واضح في منهاجه، واضح في كلماته، واضح في مكتوباته، واضح في مجالسه، واضح في مخالطته للناس، هكذا كان نبينا ﷺ، ولذلك ليس هناك صاحب عناء يأتي إلى المصطفى ويرجع منه إلا وقد تغير الوجه الذي أتى فيه، فاستجاب للحق من لقاء واحد، ومن مجلس واحد. وأصحاب الباطل لربما جلس معهم مجالس كثيرة و لم يعلم ماذا يريد هذا؟! فدع منك أهل التلون.

وكما يقال بعبارات العصر: إن الشفافية مطلوبة، وبمقابل الشفافية الضبابية التي أصبحت فقهًا جديدًا يمارس بتمرير الأمور، لماذا ؟ مراعاةً لمصالحه الشخصية، وأموره النفسية، وقضاياه الاجتماعية.

ما علم أنه إذا قال الحق أيده الله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[البقرة:137]، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[الحجر:95].

ما علم أن الله ناصر من كان معه: ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[الصافات:173].

ما علم أن الله معه، وإن تخلف فإنه مخذول: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[محمد:38]، فالوضوح منهاج النبوة.

وليكمل أستاذنا وشيخنا الشيخ صالح بن سعد السحيمي- رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية سابقا، والمدرس في مسجد النبي ﷺ، وموجه الدعاة بالمدينة- وفقه الله وسدده.

وصلى الله وسلم على محمد .

كلمة الشيخ صالح بن سعد السحيمي – حفظه الله- :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فأسأل الله – تبارك وتعالى- بأسمائه الحسنى وبصفاته العلا أن نكون ممن شملهم الله بما ينطبق عليه قول النبي ﷺ : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا غشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

أيها الأخوة :

لقد طوَّف بنا أخي فضيلة الشيخ محمد بن رمزان الهاجري – الداعية المعروف وفقه الله تعالى- في هذا الموضوع الهام ، ألا وهو : وضوح المنهج وأثره في انتشار الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى- بعيدًا عن المناهج الخفية التي يديرها أهلها في الدهاليز ، ويرسمون لها الخطط في الظلمات والوهاد والأودية بعيدًا عن الأنظار .

إن الدعوة الإسلامية دعوة واضحة ليس فيها خفاء ، يعرف ذلك كل من كان له لُب يفرِّق به بين الأشياء ، لكن ذلك قد يخفى على ضعاف البصيرة ، وقد يخفى على من لم يؤسس دعوته على منهج النبوة ، وتخفى على من لم يعتمد الأصول : الكتاب ، السنة ، الإجماع ، أقوال الصحابة . يخفى ذلك على من يتخير في الدعوة الإسلامية! يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء ، بل ربما تركت – بعض الأحزاب وبعض الجمعيات وبعض الجماعات- ربما تركت أصل الأصول وحذرت منه ألا وهو : توحيد الله – سبحانه وتعالى- بدعوى أن الدعوة إلى التوحيد يفرق الأمة!

حقًا إنه يفرق الناس: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

حقًا إنه يفرق الناس إلى فريقين:

فريق يمشون مع الاثنتين والسبعين الفرقة، الفرقق التي كلها في النار.

وفريق مع الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي قال فيها النبي ﷺ: «وهي الجماعة»، وقال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» المترسمين لخطى النبي ﷺ قولًا وعملا واعتقادا، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[محمد:21].

إنها الدعوة الواضحة الجلية المستمدة من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، وبعيدًا عن الغلو والتقصير.

أحد الدعاة في المملكة من علمائنا الأفاضل طلب منه بعض الشباب لقاء من أجل أن يُذكِّرهم، فقال بعض الحاضرين: يا شيخ هذا المكان يرانا فيه الناس، فهل بحثنا عن مكان بعيد عن الأنظار؟!

يريدون أن يلتبسوا أودية، أو وهادًا أو كهوفا يديرون من وراءها الخطط.

فعرفهم الشيخ – وفقه الله– فقال: نعم عندي مكان عظيم لمثل هذه اللقاءات.

فأخذهم وذهب بهم إلى المسجد، إنه أخونا فضيلة الشيخ زيد بن هادي المدخلي – وفقه الله–.

فيا أخوة الإسلام:

خذوها قاعدة واضحة كما بيَّن أخونا – وفقه الله–:

كل دعوة أهلها يتخفون عن الأنظار ليست دعوة إسلامية حقيقية، ليست دعوة على منهج النبوة، ليست دعوة على المنهج الحق.

يُخطط فيها للبدع والخرافات والخزعبلات.

يخطط فيها لتأسيس مذهب الخوارج.

يخطط فيها لتأسيس المذاهب الفاسدة التي يروج لها طلاب المناصب، ويروج لها كثير ممن عميت

قلوبهم وأبصارهم عن الهدي النبوي القويم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .
يقول عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى– : (إذا رأيتم القوم يتناجون في أمورهم دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسي ضلالة) .

لقد علمنا أشياخنا الأفاضل وعلماؤنا الكرام تلك الدعوة الواضحة المستمدة من هدي النبوة ، من هدي النبي ﷺ المبنية على هدي الكتناب والسنة ، بعيدة عن الإفراط والتفريط .
أما تلك الدعوات التي لا يمكن أن تسمع إلا عبر الكهوف ، أو عبر الفيسبوك ، أو عبر بعض المواقع المظلمة ، أو عبر هذه المواقع وتلك ، هذه مواقع فاسدة ، ودعاتها فاسدون ، والمستجيبون لهم فاسدون ، ومن يتأثر بها فاسد . خذوها قاعدة ، من يتلقى تلك الدعوات الفاسدة .

ولذلك أقول لكم بكل وضوح –كما أشار أخي– قضية المظاهرات التي يدعو إليها الرعاع والسفهاء، ومرضى القلوب والموتورون، والمستأجرون من قبل الصهيونية العالمية، تلك الدعوات انظروا من يقف وراءها؟ يقف وراء ها ست فئات .
وفي الحقيقة لا عطر بعد عروس ، ولكن أخي هو الذي هاضني لأطرق هذا الباب ، فأقول :
وراء تلك الدعوات : ست فئات ، وكلها تشتغل في الخفاء في الظلمات ، ففي سورة الأنعام : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[الأنعام :122] ، هذا ينطبق على هؤلاء .
أقول وراءهم ست فئات تشتغل في الظلام :
الفئة الأولى : الغرب على اختلاف دياناتهم ومللهم الفاسدة ؛ هم المؤيدون لتلك الدعوات الفاسدة الداعية إلى إسقاط العروش ويطلب أهلها المناصب .
الثانية : الرافضة ؛ ولقد شنت حملات عبر ما يسمى بـ : "قناة العالم" وغيرها ،كلها – ولله الحمد– باءت بالفشل في بلادنا ، وإن كانت قد نجحت في بعض البلاد الذين ليس عندهم من يوجههم .
الثالثة : الخوارج سواء منهم المختفون الذين يدعون في الظلام والقابعون في الكهوف ، أم الخوارج القعدة الذين يهيجون وهم يتسترون بين الناس هنا وهناك ، كما دعا بعضهم إلى إنشاء ملكية

دستورية ونحو ذلك مما دعا إليه هؤلاء الأوغاد من مرضى القلوب ، ووقَّعوا عليه ، وتحالف أولئك الخوارج – الذين يدَّعون زعامة الصحوة – تحالفوا جنبًا إلى جنب مع الليبرالية العلمانية .

وهي الفئة الرابعة التي أيدت هذا الأمر : الليبرالية العلمانية دعاة الإلحاد .

والفئة الخامسة : طلاب الكراسي والمناصب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لو تأملنا أصحاب الخروج دائما – يعني أصحاب الثورات والثيران – يعني لو تأملتهم ، تأملت مناهجهم– لوجدتهم لا تخرج أهدافهم عن أمرين : إما أن يكونوا طلاب مال ، وإما أن يكونوا طلاب ماذا ؟ حكم ومنصب .

أبدًا لا يخرجون عن هذا ، وأما من خلفهم – الذين يطبِّلون خلفهم– : فمنهم المغرور ، ومنهم الجاهل ، ومنهم السفيه ، ومنهم من يصطاد في الماء العكر .

والفئة السادسة : المرتزقة ومن يصطاد في الماء العكر ، ولكنهم – ولله الحمد– فشلوا وسيفشلون ، وتحطمت جميع مخططاتهم على هذه الصخرة الصلبة في هذه البلاد التي قامت على توحيد الله الخالص ، والتي قامت هلى هدي النبوة ، والتي قامت على نشر التوحيد الخالص الصافي من كل كدر ، فلقد أجلبوا بخيلهم ورجلهم ، وقنواتهم وفيسبوكهم ، وكافة سبلهم التي جندوها ، وصحفهم ومجلاتهم ، وجميع ما أوتوا من قوة ، ودعوا إلى مظاهرات في جمعة معينة في بلد الإسلام ، في بلد التوحيد ، في بلد المقدسات ، في بلد حمى الإسلام ، فردَّهم الله على أعقابهم خاسرين ، وردَّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وباءوا على أعقابهم خاسرين ، وباءوا بالخسران والخيبة ، و لم يتحرك أحد و لم يستجب لهم أحد فضلا من الله ونعمة ، فنحمده – تبارك وتعالى– وهو للحمد أهل .

نشرت جريدة واشنطن بوست الأمريكية : أن مراسليها انتشروا في كل مكان في المملكة يوم الجمعة ليسجلوا ما دعي إليه من الفساد الذي باء بالفشل– ولله الحمد– يقولون : فتوزعنا ووزعنا المسجلين بأدواتهم وأجهزتهم ، فلم يجدوا إلا عكس ما تصوروا ، وجدوا أن هذا الشعب المبارك ،

أن هذه الدولة المباركة ، أن هذا المجتمع المبارك ، يقف صخرة صامدة خلف قيادته ، وخلف ولاة أمره ، وخلف علمائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا تزعزعه هذه الاهواء ولا تؤثر فيه الأدواء .

صحيفة أخرىٰ قالوا : جئنا خمسة من دبي لنغطي تلك الأحداث التي توقعناها ، فسكنَّا فندق الخزامىٰ ، فلم نزد علىٰ أن شربنا قهوة في فندق الخزامىٰ وعدنا أدراجنا إلىٰ المطار ، وذهبنا إلىٰ دبي .

فالحمد لله الذي خيب آمالهم ، أنا لا أريد أن أسترسل ، فأخي قد وفَّىٰ الموضوع حقه ، ولكن هذا الأمر الموضوع جدير بأن يتكلم فيه ، وأخونا الشيخ – وفقه الله– أنا أعرف أنه أعطانا كثيرًا من المسائل نظرًا لتشعب الموضوع ، وأعطانا قواعد مهمة جدًا ينبغي لنا أن نترسمها ، وأن نسير عليها ، وأستميحه عذرًا في هذا الذي لا أسميه تعليقا وإنما هو تأييد وتأكيد لما تفضل به .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنىٰ وبصفاته العلا أن يوفق الجميع للعلم النافع وللعمل الصالح ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.